الأيمان والدين في القرآن

الأمن والدين في القرآن

توفيق

عبد السلام التونجي
دكتوراه في علم الشرائع والقوانين

منشورات
جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

جَميع حُقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1423 من ميلاد الرسول ﷺ الموافق 1994 ميلادية

مَنشورات

جمعيّة الدعوة الإسلاميّة العالميّة

طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

إنّي رأيت انه لا يكتب إنسان كتاباً
في يومِهِ إلاّ قال في غَدِه : لو غُيّر
هذا لكان أحسَن . وَلو زيد كذا
لكان يُستحسن . وَلو قدّم هذا لكان
أفضل . وَلو ترك هٰذا لكان أجمَل.
وَهٰذا مِن أعظم العبر ، وهوَ دليلٌ على
استيلاء النقص عَلى جملة البشر .

العماد الأصفهاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه، المبعوث هدى ورحمة للعالمين. وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وبعد.

فإن الإيمان والدين، والعقائد، لها من وشائج القربى وسمات الاتصال، ما يجعلها وحدة جامعة للتصديق إيماناً بالله وملائكته. وكتبه السماوية، ورسله واليوم الآخر خيره وشره؛ ذلك أن الاعتقاد إذ ينبثق من الثقة المتولدة من الإيمان، فهو بتعبير آخر مقتضاه التسليم بوجود الله ووحدانيته. وربوبيته القائمة على الرضا والاطمئنان بآياته وأحكامه، ولذا كانت المعتقدات في هذا الشأن تستند إلى العقل كما وتستند إلى النقل الصحيح عن كتاب الله وسنة رسوله، بأحاديثه المتواترة عنه صلى الله عليه وسلم، كل ذلك بحثاً عن الحقيقة، وصولاً إلى اليقين المسلم به عند علماء المسلمين خاصة وعند المسلمين عامة.

هذا وإذا كان الإيمان بالنقل، يفوق اعتماد الخصائص المنطقية والفعلية، ذلك أن النص القاطع الوارد عن رسول الله ﷺ، قد قطع دابر الجدل والشك، فتقرر أن يكون الإيمان على إطلاقه، وهو: «أن

تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر». «وتؤمن بالقدر خيره وشره»[1].

أما الدين والملّة. فهما متحدان في الذات، بيد أنهم مختلفان في الاعتبار، فإذا كان الدين منسوباً إلى الله. والملّة منسوبة إلى الرسول، فإنه من خلال فهمهما، ومنهجية البحث فيهما، ظهر المذهب المنسوب إلى المجتهد.

ولا شك أنه من خلال هذه الأمور كلها، كانت الشريعة الإسلامية الغراء، التي أنزلها الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله، على محمد رسول الله ﷺ، تكون رحمة للعالمين، ومنهاجاً في الدين والعمل، لتحقق السعادة في الدارين.

وإذ كان الأمر كذلك، فإن الإيمان إذن لم يكن مقتصراً على أركانه المعروفة، وهي الإيمان بالله:ورسوله، وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر، بل يتعدى شمولاً إلى كل ما يتطلبه نظام السلوك الإنساني في الخير في هذه الحياة، من استقامة وصدق، وتطبيق لمفاهيم الإسلام ومقاصده، من طاعة، وصلاة، وزكاة، وصوم، وحج، وبمعنى أعم اتباع أوامر الله ونواهيه، وبهذا تكون الهداية شاملة يجد المرء بها طريقه واضحاً. وسلوكه سليماً ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾[3] وقال أيضاً: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4].

---

(1) أخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

(2) الزمر، الآية: 23

(3) الأنعام، 71.

(4) البقرة، الآية: 38

ولا شك أن مفهوم الهداية يرمي إلى الإيمان، إذ ﴿من آمن بالله فلا خوف عليه﴾. لهذا كان الإيمان زاد الحياة. يعطي ثمراته في الدنيا والآخرة، وهو باختصار، طاعة الله، بما أنزله، وطاعة رسوله بما دعا إليه.

هذه النظرة الشمولية لمفهوم الإيمان، قد أحاطها الله بالدين، منذ وجد آدم على ظهر الأرض، إذ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾[1].

هذا الدين، هو دين الإسلام، وقد اصطفاه الله للعالمين. فقال تعالى معلناً عموميته ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[2]. وقال تأكيداً لهذا الاصطفاء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[3].

هذا الدين يرمي إلى التوحيد بوحدانية الله وربوبيته وعبادته، بكل إيمان وإخلاص قال تعالى:

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾[4]. والمراد بالدين هنا. هو دين الإسلام، وهو نعمة من الله ارتضاها لعباده فقال تعالى:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

هذا الدين الذي قضى على الشرك والكفر في بيئة جاهلية قاسية،

---

(1) التوبة، الآية: 33.
(2) آل عمران، الآية: 19.
(3) البقرة، الآية: 133.
(4) البينة، الآية: 5.
(5) آل عمران، الآية: 85.

ساد في المجتمع بفضل الله ورسوله ﷺ، بما بشر به، ودعا إليه بشجاعة ثابتة، وحكمة رائدة، حيث قضى على رموز الكفر وتوابعها، من الفساد والظلم، فساد العدل والنظام في المجتمع، وترسخت القيم الحضارية الإسلامية، فلا تعصب، ولا غلو، ولا كذب، ولا نفاق، بل حياة مطمئنة صادقة تجعل المرء بعيداً عن كل حرج.

هذا الدين، هو دين اليسر، دين الثقة، دين العفو والغفران، لمن تاب وأناب إلى الله، هو في حقيقته دين يدعو إلى وحدة الصفوف وإجماع الكلمة. فإذا كان كذلك فإنه لا بد من طاعة، وهذه الطاعة تقتضي البيعة وعلى هذا فلا بد للمسلمين إذن من إمام، يكون رمزاً عملياً لاجتماع الكلمة، وهذا ما يجعل الدعوة مستمرة إلى الدين، إلى يوم القيامة، بحيث يكون الداعي عالماً عاملاً يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، والإعراض عن الجاهلين قال تعالى: ﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾[1].

هذا وإذا كانت العقائد تشمل ما ينبغي أن يدين به المسلم. ويعتقده بقلبه إيماناً، صافياً، صادقاً. دون أن يشوبه أي شك أو ارتياب، فإن من مقتضياتها الإيمان بالغيبيات التي لا سبيل إلى الاعتقاد بها، إلا عن طريق الخبر اليقيني، الذي وصلنا عنها، في كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ. فهي في حقيقة الأمر تعبير عن مدى الإيمان والجنة. لا سيما وأنها محجوبة عن الرؤية الحسية. إذ لم يتحقق مضمونها في هذه الدنيا بل هي في علم الله جل جلاله، كالأخبار اليقينية فيما يتعرض إليه الإنسان فيما بعد الموت من عذاب القبر، أو نعيمه، وما يتعلق بيوم المعاد وهو البعث وما فيه من الحشر والحساب. والجنة والنار، والنعيم والعذاب...

---

(1) يوسف، الآية: 101.

هذه المغيبات على الرغم من الإيمان بها عن طريق الخبر اليقيني، فهي في الوقت ذاته، قد تخضع للنظر والعقل، كما هو الشأن في المعجزات، التي هي من الأمور الخارقة للعادة، ويظهرها الله على يد الأنبياء، عند تحدي المنكرين للدعوة التي يدعو إليها، فتكون بذلك وسيلة للتصديق بصدق دعواهم.

هذه المعجزات، وإن خالفت المألوف، والقوانين الحسية في الوجود، فهي لا تخالف العقل والإمكانية، إذ إنها متصلة بقوة خارقة، هي قدرة الله العجيبة، التي لا يعجزها شيء. إذ الله قادر على كل شيء.

قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [1]. ولا شك أن أبلغ المعجزات هو القرآن الكريم، وهو المعجزة الخالدة التي تصبو إليها العقول، وتتطلع إليها النفوس والأنظار والذي أتى بشريعة سمحاء تقوم على العدل والانصاف والحرية والمساواة، تحقيقاً للإيمان والدين، ودفعاً للفساد. هذا والله سبحانه وتعالى إذ يبين لنا في محكم تنزيله في آياتها البينات، يرشدنا بالأدلة الفعلية والنقلية. إلى ما حصل للأمم السابقة، من جراء كفرها وطغيانها، واستفحال ذنوبها، وانتشار فسادها، حيث تحكمت فيها أهواءها الفعالة، مما أدى إلى تقويض دولها، واندثار أممها، نتجة لذلك، قال تعالى في شأنهم:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [2].

وبعد، فإن هذا البحث الذي تناولنا فيه الإيمان، والدين،

(1) فاطر، الآية: 44.
(2) الروم، 41.

والعقائد إنما هو صورة صادقة للسلوك الإنساني الواجب الاتباع إيماناً وديناً وعقيدة، وقد نبّه الله في محكم آياته عنها في جميع أركانها وأبعادها ومختلف صورها، لما يجب أن تكون عليه عقيدة المسلم الصالحة، إذ بفضلها وقيمها، ارتسمت أسس الإسلام، فكانت قواعده ومبادئه، قد شيدت أعظم حضارة عرفها التاريخ، وهي حضارة راسخة متمركزة، وقائمة على الدين والعلم النافع. والعمل الصالح، وهي لا تزال مشرقة على العالم، تعطي صورة صادقة، عن القيم الإنسانية الخلاقة، ولاغرابة في ذلك، فهي الشريعة الإسلامية التي تصلح لكل زمان ومكان: وهي الرائدة والخاتمة لكافة الشرائع وهي بحق شريعة السعادة في الدارين. ولله الحمد أولاً وآخراً وهو نعم المولى ونعم النصير وبه التوفيق والعصمة. والله من وراء القصد.

17 يوليو 1993 الدكتور عبد السلام التونجي.

- أ -
الإيمَان

باب الهمزة

1 ـ ابتلاء المؤمنين

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾.

سورة البقرة: 155 وانظر البقرة 214 وآل عمران: 152، 154، 197، 186، والمائدة: 48 والأنعام 165 وهود: 7 والأنبياء: 35 والعنكبوت: 2 ومحمد: 31.

اللغة:

بلوت فلاناً، أو بلوت كذا أبلوه ـ من باب نصر ـ بَلْواً وبلاءً، وأبليته: كل ذلك بمعنى امتحنته واختبرته ويكون بالخير والشر والنعمة والنقمة[1].

فاختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسارّ ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا، فصارت المِحْنَة والمِنْحَة جميعاً بلاء، فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر[2].

(1) معجم ألفاظ القرآن الكريم 1/ 125.

(2) والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، قال عمر رضي الله تعالى عنه «بُلينا بالضراء فصبرنا وبُلينا بالسَّراء فلم نصبر وقال أمير المؤمنين مَنْ وسِّع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مُكِرَ به فهو مخدوع في عقله. انظر المفردات ص 61.

والبلاء يأتي على حسب دين العبد وشدة يقينه، فقد قال سعد بن أبي وقاص: سألت رسول الله ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ فقال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلىٰ الرجل على حسب دينه، فإن كان رقيق الدين ابتُلي على حسب ذاك وإن كان صلب الدين ابتلي على حسب ذاك، فما تزال البلايا بالرجل حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة[1].

وللصابر الراضي أعلى أنواع الثواب ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [2] وفي صبر العبد المؤمن اكتساب معيَّة الله ومحبته: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[3] ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4]. هذا ولا يحل لمؤمنٍ أن يذل نفسه فيتعرض من البلاء لما لا يقوم له[5].

التفسير:

تقدم في الأموال من الاجتماعيات. وفيما تقدم في اللغة إضاءة أخرى لنظرة الإسلام: إلى الابتلاء ومفهومه.

2 ـ الاستجابة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾.

(1) أخرجه البخاري.
(2) الزمر، 10.
(3) الأنفال، 66.
(4) آل عمران، 146.
(5) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يحل لمؤمن أن يَذِلَّ نفسه» قالوا: يا رسول الله وما إذلاله نفسه؟ قال: «يتعرَّضُ من البلاء لما لا يقوم له». انظر القرطبي 4/ 48.

سورة البقرة: 186 وانظر آل عمران: 172 والأنعام: 36 والأنفال: 24 والرعد: 18 والقصص: 50 والشورى 26/ 47.

أسباب النزول:

تقدم في الدعاء والطلب من قسم العبادة.

اللغة:

الإجابة الرد على الكلام، يقال أجابه إجابةً، والاسم منه الجواب. والاستجابة كالإجابة في إفادة معنى التلبية والقبول. يقال دعاني فاستجبتُه واستجبتُ له. واستجاب اللهُ دعاءَهُ واستجاب له[1].

وحقيقة الاستجابة هي التحرِّي للجواب والتهيُّؤ له، لكن عُبِّرَ به من الإجابة لقلة انفكاكها منها[2].

ولا تكون الاستجابة إلا لمن أخلص لله تعالى بقلبه وأطاع بدنه عن عباده المؤمنين فيعطيهم مسألتهم: إذا دعوه كما يجيب دعاء هؤلاء المؤمنين بعضهم لبعض. ويجيب دعوة المظلوم ودعوة المضطر لأنهما في حال انكسار وخشوع ورجاء ما بعده رجاء[3].

التفسير:

تقدم في (الدعاء والطلب) من قسم العبادة.

3 ـ أطيعوا الله والرسول

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

سورة آل عمران: 32 وانظر آل عمران أيضاً 132 والنساء: 59، 64، 69،

(1) معجم ألفاظ القرآن الكريم 1/ 221 والتي تليها.

(2) المفردات ص 102.

(3) انظر الأدعية والدعاء والطلب وكيفية الدعاء والصلاة في قسم العبادة من معجمنا.